ميشيل كولون يحاور الرئيس اسياس افورقي

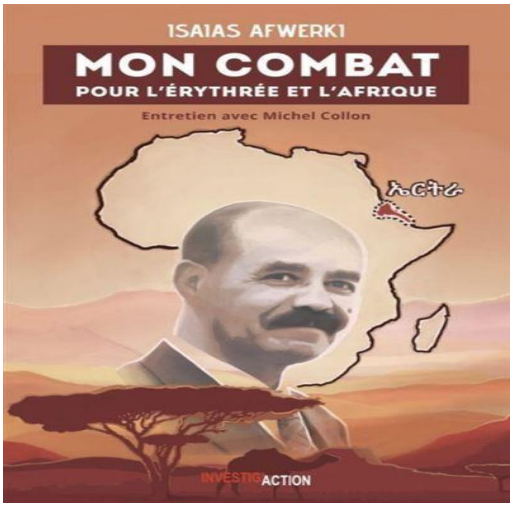

عرض: **د.أحمد حسن دحلي**

صدر في مايو 2025 كتاب للباحث البلجيكي ميشيل كولون بعنوان " اسياس افورقي كفاحي لأجل ارتريا وافريقيا " بالفرنسية والانجليزية عن دار" انفيستيغاسيون" وهو عبارة عن حوار مطول ومعمق اجراه في نهاية عام 2023 مع الرئيس. يقع الكتاب في 107 صفحة من الحجم الكبير، موزعة في ستة فصول، وخاتمة سطرها الكاتب الاثيوبي محمد حسن. واحتوى الكتاب على عدد من الصور والخرائط الارترية، ويتوقع ان يترجم الى العربية والتجرينيا ، وربما الى لغات أخرى.

استهل ميشيل كولون الكتاب بالتنويه الى ان ارتريا " وفجر تحريرها تعرضت لضغط من البنك الدولي الذي " قال سنعد لكم برنامجكم الاقتصادي. وإلا..." ومنذ ذلك التهديد، غدت ارتريا عرضة لمختلف أنواع الحروب من قبل الشركات المتعددة الجنسيات، نتيجة موقفها الرافض لذلك:

ـ **حرب اقتصادية**: لقد فرض الغرب عقوبات كبيرة لعرقلة نمو اقتصاد البلد المستقل تماما.

ـ **حرب سياسية**: تشكيل تحالف من قوى استعمارية جديدة بغية عزل ارتريا وفرض تغيير النظام.

ـ **حرب عسكرية**: خططت الولايات المتحدة لحرب جديدة " بالوكالة " من

عام 1998 لعام 2000 عبر توظيف وتسليح مفرط للنظام الاثيوبي في عهد رئيس الوزراء ملس زيناوي.

- حرب التهجير: استخدمت وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية ـ السي أي أي ـ شبكة التواصل الاجتماعي لكي تجذب الشباب الإرتري إلى شبكات مافيا الاتجار باللاجئين.

ـ حرب إعلامية: العديد من الوسائل الإعلامية عمدت على نشر روايات واخبار مزيفة بهدف شيطنة الحكومة الارترية لسنوات عديدة، مخفية وبعناية مصالح الشركات الغربية المتعددة الجنسيات.

لقد صمدت ارتريا في وجه كل هذه الحروب، هذا يجعل المرء يهتم بها:

ـ لماذا هذا العداء الأمريكي ـ الأوروبي؟

ـ كيف يواجه هذا البلد الصغير تحديات التنمية المتعددة الابعاد: الجفاف والغذاء والتحول المناخي؟

ـ كيف ترتب أولويات الاحتياجات الأساسية: الصحة والتعليم والعدالة والتناغم الاجتماعي بين السكان والاديان؟

ـ ما هي مقترحاتها لتعاون وتجمع دول المنطقة (الصومال والسودان واثيوبيا وجيبوتي ومصر وكينيا) التي لا تكف الولايات المتحدة على تقسيمها واضعافها؟

ـ ما هي الدروس التي تستطيع القارة الافريقية استخلاصها من التجربة الارترية في عملية بحثها عن مستقبل كريم ومزدهر لأبنائها؟

لقد حالفني الحظ ان استعرض جميع هذه القضايا مع الرئيس اسياس افورقي في نهاية عام 2023. يجب الاستماع اليه اطلاقا. وعندئذ سيعرف المرء ماذا إذا كانت ارتريا " التفاحة الفاسدة " التي يجب ازالتها لوقاية بقية التفاح في السلة، أم بالعكس، انها مصدر الهام مفيد لأفريقيا الحرة المستقلة في عالم أفضل؟ الحكم متروك لكم". يقول الكاتب ميشيل كولون.

في الفصل الأول من الحوار تناول الرئيس اسياس افورقي بصورة مختصرة للغاية الخلفية التاريخية للمؤامرة السياسية الامريكية التي حالت دون استقلال ارتريا بعد الحرب الكونية الثانية اسوة ببقية مستعمرات إيطاليا الافريقية، وذكر تصريح وزير خارجية أمريكا حينذاك جون فوستر دالاس الذي ورد فيه ان ارتريا لا تخدم مصالح واشنطن الاستراتيجية، وعليه يجب ربطها بوكيل يخدم مصالح واشنطن في المنطقة، أي أثيوبيا. وهكذا تمت عملية مصادرة حق الشعب الارتري في تقرير المصير، وشروع الشعب الارتري في المقاومة السياسية والمسلحة ضد جيش يتألف من 400 ألف مقاتل. وبغية تغيير المعادلة لصالح الثورة كان لا مندوحة الشروع في تنظيم الارتريين على كل الصعد للاستفادة من كل الطاقات والامكانيات المتاحة. والمسيرة الثورية الارترية لم تكن طويلة وحسب، بل معقدة، تخللتها عدة أزمات وحروب داخلية. ولكن وفي نهاية المطاف استطاعت ان تبدل موازين القوى، وترسي أسس بنوية صلدة تشكل القاعدة الراسخة التي يعتمد عليها في عملية البناء التي نحن الآن بصددها.

ميشيل كولون

في الفصل الثاني من المقابلة تركز الحديث على الأسباب الكامنة وراء الازمة الصومالية المزمنة التي بدأت مع تبني الصومال سياسة توسعية يرمز اليها بالنجم الخماسي الابعاد والذي يشير الى رغبة الصومال في توحيد اجزائه الخمسة. هذه السياسة خلقت توترا اقليميا بين الصومال واثيوبيا وجيبوتي وكينيا. ثم تعرض للوضع في السودان منذ استقلاله، والكوارث السياسية التي حلت به طيلة ثلاثة عقود من عهد الإنقاذ 1989 - 2018. وان الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق لم تكن تريد الانفصال، بل ان قرنق كان يقول ان فرص الوحدة هو

بنسبة 99 في المائة، وان احتمال الانفصال لا يتعدى 1 في المائة. ولكن حصل ما حصل أبان حكم نظام الإنقاذ، وانفصل جنوب السودان عام 2011، واشتعل الحريق في دارفور، وولج السودان في ازمة عميقة. وردا على سؤال عن إمكانية قيام ثمة تحالف او تعاون إقليمي بين ارتريا واثيوبيا والسودان والصومال، قال الرئيس اسياس افورقي " لا يوجد لدينا أي خيار آخر. نستطيع حل قضايانا الوطنية، ولكن يجب ان نتحد ونخلق مناخا إقليميا ليس في القرن الافريقي وحده، وانما في عموم القارة، لا سيما في ظل عالم محكوم بمنطق العولمة.

الفصل الثالث يشمل العديد من المسائل وأبرزها إشكالية كيفية تحول الاقتصاد الافريقي من اقتصاد كفاف الى اقتصاد صناعي، أي انتقال اقتصاد القارة السمراء من حالة الاكتفاء بتصدير المواد الخام الى الدول الصناعية الغربية والشرقية الى مرحلة انتاج صناعي محلي، يضاعف قيمة المواد الأولية من ناحية، ويخلق فرص عمل هائلة من ناحية ثانية، ويوفر السلع الصناعية بأسعار في متناول الجميع من ناحية ثالثة، ويفتح أبواب التصدير واسعة وبسعر منافس ومغر على مستوى القارة والعالم من ناحية رابعة. ويقدم الرئيس اسياس افورقي في هذا الفصل شرحا حول كيفية سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات عبر البنك الدولي وصندوق النقد العالمي وفروعهما وتوابعهما الذين يحكمون السيطرة على الاقتصادات الدولية وعلى حياة الناس في العالم. ونتيجة لذلك توجد القارة الافريقية مهمشة، ولكن الامر ليس قاصرا عليها، فالعديد من المناطق في أمريكا اللاتينية وآسيا تعاني هي الأخرى من التهميش... وان هذا النظام الاقتصادي انعكس على أوروبا والولايات المتحدة الامريكية بكل سلبياته لدرجة ان ديون واشنطن بلغت 31 ألف مليار دولار...وتوجد تحديات كبيرة امام القارة التي يبلغ عدد سكانها حاليا مليار ونصف مليار نسمة، وتعاني من انفجار سكاني، بحيث انه في غضون جيل واحد سيصل عدد سكان قارتنا 3 مليار نسمة، مما يستحيل اطعامهم عبر اقتصاد الكفاف. فلا يوجد خيار آخر أمامنا، علينا الخروج من هذه الدائرة، ولا يمكن ان ننتظر من البنك الدولي وصندوق النقد العالمي ان يقررا كل شيء لنا، ثم يقدمان لنا الدروس. وإذا اعترضت على برنامج البنك الدولي

وصندوق النقد العالمي، تتم شيطنتك وتوصف بـ " المتطرف " أو بـ " دكتاتور ماركسي."

الفصل الرابع يستعرض تحديات ارتريا الراهنة والتي تتعلق بالبنية التحتية والطاقة والتنمية المائية واستغلال المعادن، وتحديات أخرى في ميادين مختلفة. قد يكون لك الذهب والبترول والغاز، ولكن من دون موارد الطاقة لا معنى لذلك، علما ان الموارد البشرية هي العنصر الحاسم في أي مشروع. وعملية اختيار الاستثمار في هذا القطاع دون ذاك لا تخضع لدوافع عاطفية أو ايدولوجية، بقدر ما تنطلق من تقييم واقعي لحاجة البلاد على المدى القريب والبعيد. وردا على سؤال حول سياسة ارتريا للخروج من اقتصاد الكفاف وبغية القضاء على الفقر وتأمين الغذاء، قال الرئيس اسياس افورقي " نحن في مفترق الطرق. الآن نعرف القضية، ولذا تمت دراسة مسالة الأرض والماء والمطر والغذاء. على سبيل المثال السدود التي نقيمها تغطي 300 مليون متر مكعب، بمتوسط يتراوح بين 30 و50 مليون تدرج في سياق استراتيجيتنا لحل مسألة الامن الغذائي...لسنا بحاجة للمعدات الثقيلة، فالمواطنون يساهمون في بناء السدود، ونستخدم مضخات المياه بالطاقة الشمسية، بجانب نظام الري بالجاذبية. وفضلا عن ذلك تتمتع ارتريا بثروة حيوانية وثروة بحرية. تقديرات المنظمات الدولية تشير الى ان الاحتياطي الارتري من الثروة السمكية السنوية تقدر ما بين 80 الى 120 ألف طن، ولغاية اليوم لم نستطع صيد أكثر من 10 ألف طن فقط سنويا. الهدف ليس الامن الغذائي او الاكتفاء الذاتي وحسب، بل هو خوض مجال الصناعات والمصانع والتصدير. وفي هذا الفصل تطرق الحديث أيضا عن المرأة ودورها ابان الكفاح المسلح وفي مرحلة إعادة بناء الوطن. وتوقف الرئيس على تجربة " ساوا " التي قال عنها انها ليست معسكرا للتدريب العسكري، بقدر ما هي بؤرة اندماج، وبناء العلاقات النفسية والثقافية والوحدوية بين جميع الشباب والشابات. ففي " ساوا" يعتمد الجميع موقفا واحدا لهدف واحد، الا وهو بناء المستقبل. ثم يواصل الجميع بعد ذلك التحصيل العلمي. فالمستقبل لهم وليس لي.

الفصل الخامس تمحور حول الصحة والتعليم. لقد سأل ميشيل كولون ما إذا كانت ارتريا وفرت لكل اطفالها التعليم على كل الصعد. فكان الرد كالتالي" بعد ثلاثين سنة، أستطيع القول بأننا لم نحقق بعد اهدافنا...في بعض الأحيان نصاب بخيبة امل في عدم تحقيقنا للأهداف الموضوعة، ولكننا نتعلم الكثير من اخفاقاتنا. والفشل بالنسبة لنا درس. ويظل القطاع التعليمي أولى أولوياتنا. والتعليم وحده سيؤهل المواطنين على مضاعفة مساهمتهم في خلق الثروة. ففي غضون

السنوات الثلاث او الأربع المنصرمة أعدنا النظر في سياساتنا التعليمية لأنها لم تكن جيدة، فلقد تم التضحية بـ 80 في المائة من طلابنا. وفيما يخص الصحة يجب ان تكون للجميع على قدم المساواة. لقد تم بناء ستة مستشفيات مركزية في الأقاليم الارترية الستة. ولكن السؤال هو هل يوجد طاقم طبي كاف وكفؤ في هذه المستشفيات، هل لدينا العيادات والمراكز الصحية في جميع الأقاليم؟ والى ذلك فإن استخدام الادوية الجنيسة بدلا من الادوية الاصلية يقتضي توفر بنية تحتية تؤهلك لتحقيق تلك الغاية. نريد إقامة أفضل المؤسسات الطبية التي تقدم بصورة الخدمات الصحية مجانا.

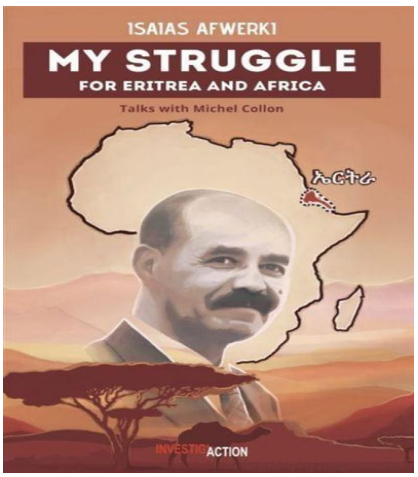

الفصل السادس والاخير يتعلق بسبل مقاومة الدعاية الإعلامية. طرح الكاتب البلجيكي في هذا الفصل من الكتاب السؤال التالي على الرئيس الارتري: هل تفكرون بأن المفتاح يوجد اليوم في معركة المعلومات والأفكار؟ فجاء الرد كالآتي: " الأفكار والمعلومات اهم من أي شيء آخر. كيف يمكن للمرء ان يتخذ موقفا سليما وقرارا صحيحا من دون الاعتماد على معلومات؟ يجب أن تكون الاستراتيجية الدائمة المعتمدة، هي المعلومات لمواجهة التضليل الإعلامي قبل كل شيء، وقبل أي عمل أو أي حركة. ينبغي على كل فرد وكل مجتمع أن يكون على علم جيد. " وفي ذات السياق، وردا على سؤال حول ما إذا كانت الجاليات الارترية في الغرب تلعب دورا في المعركة الإعلامية، قال الرئيس اسياس افورقي " أستطيع ان أؤكد لك بأن وزارة الاعلام لا تهتم بوسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت فرصة وطريقة لمكافحة التضليل الإعلامي. فأي مواطن يمكنه المساهمة في ذلك. وان الجاليات بصورة خاصة تستطيع أن تساهم بسهولة كبيرة بحكم التسهيلات المتوفرة لها...ولذا لسنا بحاجة لوزارة او مؤسسة للرد.

الاعلام هو عنوان المعركة التي نخوضها، فعلينا ان نحسن استخدامه بشكل فعال.
على كل فرد تحمل مسؤولياته ومبادراته لمتابعة ما يتم تداوله في وسائل التواصل الاجتماعي، لكي يرصد التضليل الإعلامي من جهة، وللعثور على الحقيقة من جهة أخرى.

خلاصة الكتاب سطرها الكاتب الاثيوبي محمد حسن، ورد فيها " كتاب ـ حوار ميشيل كولون مع الرئيس اسياس افورقي، صدر في الوقت المناسب، وان أهميته تكمن في ثلاثة عوامل وهي:

1- وجود العالم في تأرجح.
2 ـ شروع افريقيا في الاستيقاظ.
3 ـ طموح القرن الافريقي للسلام والازدهار. "

25 يونيو 2025